

المراثية المباركة

في شأن الداعي الأجل سَيِّدِنَا فِيرْخَانَ شَجَاعِ الدِّينِ رَضِ

تالها

بعض حدود الدعوة الهادية قس

أَلَا إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ يَبْدِي فُتُونَهُ      فَيَمَحُوضِيَاهُ ثُمَّ يَبْدِي دُجُونَهُ  
فَكَيْفَ يَرَى ذُو اللَّبِّ فِيهِ سُكُونَهُ      إِذَا صَادَ مِنْ كُلِّ الْقَرِينِ قُرُونَهُ  
وَتَشْتِيَتْهُ لِلشَّمْلِ فِيهِ الْغَرَائِزُ

\*

يَصُولُ فَيَجِيئُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ      فَيَعْكُسُ أَفْرَاحَ الرِّجَالِ بِكُوبَةٍ  
وَإِنْ عَادَ صُبْحًا رَدَّهَا بِالْعَشِيِّ      فَكَمْ ابْتُلِيَ ذُو نِعْمَةٍ بِمُصِيبَةٍ  
فَمَا نِعْمَةٌ إِلَّا وَفِيهَا النَّوَاكِرُ

\*

فَعَيْشُ ذَوِي الْأَلْبَابِ فِيهِ فَاصِفَا      إِذَا كَانَ غَدَارًا وَلِلْعَهْدِ مَا وَفَى  
فَكَمْ صَادَ مِنْ شَيْخٍ وَكُهْلٍ وَمَا كَتَفَى      وَحَتَّى لِفَيْرِ الْخَانَ صَادَ وَاتَّلَفَا  
هُوَ خَارِجٌ بَيْنَ الْمَفَاوِزِ بَارِزُ

\*

أَقْبَى نَعِيَهُ وَالْأَهْلُ عَنْ ذَاكَ غَافِلٌ      فَذُقْتُ بِذَا أَعْضَائِهِمْ وَالْمَفَاصِلُ  
وَأَعْيُنُهُمْ مِنْهَا تَسِيلُ الْجَدَاوِلُ      كَذَلِكَ قُلُوبٌ فِيهِ هَاجَ الْبَلَابِلُ  
وَقَدْ عَظُمَتْ مِنْ ذَاكَ فِيهِمْ هَزَائِرُ

\*

بِذَا ضَاغَتِ الدُّنْيَا الْفُسَيْحُ بِجَالِهَا      وَقَدْ سَاءَ بِذَاكَ النَّعْيُ لِلنَّفْسِ حَالِهَا  
كَمَا شَابَ لِلْحَبَابِ مِنْ ذَا قَدَالِهَا      فَلَيْسَ بِغَيْرِ الْوَصْلِ يَنْعَمُ بِأَلِهَا  
فَأَقْبَى وَدَهْرِي مُسْتَحِيلٌ وَجَائِرُ

\*

وَأَقْبَى وَعَامٌ تَمَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ      وَحَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ مِنْ بَعْدِ قَوْتِهِ  
فِيَا نَفْسٍ كَمْ تَبْكِي لَهُ وَشَكْوَتِهِ      أَلَمْ تَدْرِي أَنَّ الدَّهْرَ يَعْطُو بِصَوْتِهِ  
بَنُوا لِخِرَابٍ فَالْبُيُوتُ الْمَفَاوِزُ

\*

فَقَالَتْ وَإِنَّ الْجَفْنَ مِنْهَا لَأَمْرُهُ      دَعَوْنِي دَعَوْنِي لَمْ أَنْزِلْ أَتَاؤُهُ  
وَاحْتِشَائِحِيهِ تَذُوبٌ وَأَوْجُهُ      وَأَحْلَامُ أَهْلِ الْوَدِّ مِنْ ذَاكَ تَعَمَّهُ  
وَأُدْهَشَ أَسَادُ بِذَا وَالْجَلَاوِزُ

\*

وَلَمْ لَا وَهُوَ فِي الْفَخْرِ تَمَّتْ صِفَاتُهُ      وَسَارَ كَمَا قَدَسَ حَقًّا دُعَاتُهُ  
وَنَصَّ عَلَيْهِ الْقُطْبُ إِذْ فَاتَ ذَاتَهُ      وَتَمَّ عَلَيْهِ مِنْهُ حَقًّا هِبَاتُهُ  
كَمَا تَمَّ مِنْهُ لُطْفُهُ وَالْجَوَائِزُ

\*

فَحَارَ بِنَصِّ مِنْهُ حَقًّا لِرُتْبِهِ      فَعَاصِيَهُ قَدَّ صَارَ عَاصٍ لِقُطْبِهِ  
إِذَا هُوَ بِنَصِّ الْقُطْبِ صَارَ لِحَرْبِهِ      عَلَى ذَا دَعَا حَتَّى مَضَى نَحْوَ تَرْبِهِ  
وَصَارَ مَطَايَاهُ إِلَيْهِ الْجَنَائِزُ

\*

وَمَا قَدَّ مَضَى إِلَّا أَحَدًا حَلَّهُ      لِمَنْ قَدَّ دُعِيَ سَمْعِيلُ إِذْ حَارَ فَضْلُهُ  
بِنَصِّ عَلَيْهِ جِئْنَا صَيْرَ مِثْلَهُ      فَقَامَ بِهِ يَنْهَى وَيَأْمُرُ أَهْلَهُ  
وَصَارَ لِأَسْنَى الْقَدْرِ بِالنَّصِّ حَائِزُ

\*

فَمِنْ سَيِّئِهِ سَيْفٌ لِدَعْوَةِ دِينِهِ      سُلَيْمَانُ مَنْ أَوْلَاهُ مِنْ تَمَكِينِهِ  
وَكَتَاهُ سَيْفًا خَطَّهُ بِيَمِينِهِ      بِذَا صَارَ ذُو قَدْرِ لَدَيْهِ بِدُونِهِ  
كَمَا اخْلَقَهُ حَقًّا عَلَتْ وَالنَّحَائِزُ

\*

وَبَعْدُ فَصَلَّى بِأَرِيءِ الْخَلْقِ مُجِدِّي  
عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ طَهُ مُحَمَّدٍ  
كَذَلِكَ عَلَى الْأَطْهَارِ طَرَّادِي الْيَدِ  
إِلَى أَنْ بَدَأَ فِي الدِّينِ هَادٍ وَمُهْتَدٍ  
وَمَا دَامَ مَنْ يَعْفُو الْخَطَا وَيَجَاوِزُ